# إنتشار ظاهرة الإلحاد بين الشباب المصريين

محمد سعد زغلول سالم

السبت ٢١ ديسمبر ٢٠١٩

إنتشار ظاهرة الإلحاد بين الشباب المصريين ذكوراً وإناثاً أمرٌ مؤلم يثيرُ الحزنَ والأسى ويتطلب جهوداً حثيثة ومُضنية لدراسة وتحليل الجوانب المتعددة لهذه الظاهرة ليمكن وضعُ تصور متكامل لمواجهتها ووقف تمددِها وإنتشارها. وبعيداً عن الأسباب المباشرة الظاهرة والصحيحة أيضاً التى تفسر هذه الظاهرة وتُرْجِعُها إلى عوامل روحية ونفسية مرتبطةً بالدين كضعْف الإيمان وقلة الوعى بالدين وغَلَبَة عوامل الضلال والفساد والإنحلال الخلقى على نقائضِها فى المجتمع فإنَّ ظاهرة الإلحاد تعكِسُ مرضاً عقلياً وإعتلالاً فكرياً يستوْجب علاجَ المُصاب به لإعادته إلى فطرته السليمة التى خلَقَه اللهُ عليها قبلَ أنْ تنحرف بفعل هذه العوامل إلى تيهْ وظلمةْ وضلالْ الإلحاد.

وقد تبين من خلال دراساتٍ ومناقشاتٍ عديدة مع بعض الملحدين أنَّ السببَ الرئيسى لإلحادِهم وفقدانِهم الإيمان بوجود إلهٍ خالق لهذا الكون هو عجزهُم العقلى عن تخيل وقبول نقيض الحقيقة العلمية الراسخة التى تقرر إنَّ المادة والطاقة كلاهُما لا يفنيان ولا يوجَدان من عَدَم ولذا يشعر عقلُهُم بالعجز عن إستيعاب أو تقبل عقيدة دينية تقرر وجودَ الله خلافَ هذه الحقيقة العلمية رغم أنهم لا يستطيعون تفسير كيفية وجود الكون بكلٍّ ما فيه من مادةٍ وطاقة فى نقضٍ مباشر لبعض فرضيات هذه الحقيقة العلمية ذاتها. وبذا يمكن إفتراض وتصوُّر الإلحاد كمخرجٍ ومهربٍ للعقل العاجز عن الإقتناع بحقائق متناقِضَة لا سبيلَ إلى التوفيق بينها بحكم طبيعته القاصِرَة عن إدراك أنه لم يُخْلَق لإدراك معانى الوجود وإنما لمعرفة معالِم وظواهر هذا الوجود.

ورغم أنَّ محاولات مواجهة ظاهرة الإلحاد تتمركز حول محورٍ رئيسى واحد فقط هو المحور الدينى بالدعوة إلى الإيمان والعودة إلى صفوف المؤمنين والإلتفات عن وساوس الشيطان .. الخ الخ .. فإنَّ نتائج هذه المحاولات يكونُ مآلُها فى معظم الأحوال إلى فشلٍ بغير أىِّ نجاح بسبب المنبع العقلى لهذه الظاهرة الذى لا يستجيبُ منذ البداية للدافع الدينى. ولذا فقد يمكن مواجهة هذه الظاهرة بأسلوبٍ يعتمد على التفنيد المنطقى والعلمى لما يعتقده وما يتبعه العقل الملحد فى خِضَّم إلحادِه من أفكارٍ مادية بحتة إرتضاها بديلاً عن العقائد الدينية التى لا يستطيع فهْمَها أو إدراكها. فحُجة العقل المُلْحِد التقليدية فى تفسير كيفية خلق الوجود كله ـ رغم إقتناعه بحقيقة عدم إمكانية الخلْق من عَدَم ـ بأنَّ الأمر كله هو وليدُ صُدْفَةٍ حَدثت وإستقرت وتطورت إلى ما هو عليه الوجود والحياة والأحياء الآن بفعل سِلْسِلَةٍ من التفاعلات الكيميائية المُعقدة حجة غيرُ منطقية تتهاوَى سريعاً أمام سؤال عن مصدر وكيفية وجود الجزيئات التى شاركَت فى هذه التفاعلات ثم تتحطم وتتلاشى أمامَ المنطِق السليم لأن الصدفة التى يتضمن تعريفُها العلمى أنها حَدَثٌ عشوائى لا يتكرر ثانية بنفس المُماثَلَة هى ظاهرة لا وجود لها فى طبيعة الخلق حيث أنَّ جميع مظاهر الخلق والنشأة والتكوين لكل ما فى هذا الكون من أشياء وأحياء تتكرر بنفس الدقة والنظام مراتٍ لا حصر لها ولا عدد على مدى ألوف أو ملايين السنين بل وتتكرر بنفس الكيفية ونفس الدقة ونفس الإنتظام آلافَ المرات فى حياة كلِّ خليةٍ حية واحدة طوال عمرها ولذا فإنَّ مقولة إرجاع الوجود إلى صُدْفةٍ عشوائية يصبح إفتراضاً غير منطقى وغير علمى يتوجب على العقل السليم إعادة التفكير فى قبوله كمُبرر للإلحاد وفقد الإيمان بوجود خالق لهذا الوجود.

إضافةً إلى ذلك فإنه يمكن تحْييد العقل الملحد بإتاحَة البديل الآخر الأكثر نفعاً له بمنطق براجماتى بَحْت يؤمِن به ويتبعه المُلحِد بعيداً عن أسلوب الدعوة الدينية المباشر عندما ندفعه للتساؤل والتفكير فى البديل الأكثر نفعاً له إذا إفترضنا مثلما يقول الملحدون المحايدون تساوى الإحتمالين القائلين بوجود الله وعدم وجوده. فأيهما أكثر نفعاً وسلاماً وراحةً له من عواقب كلا الإحتمالَيْن : أنْ يؤمن بوجود الله وهو غير موجود أو ألا يؤمن بوجود الله وهو موجود ؟! فتفكير العقل الملحد فى إجابة مثل هذا السؤال يمكن لها أنْ تقودَ الكثيرَ من الملحدين إلى إعادة النظر فى إلحادِهم من وجهة نظر نفعيةٍ بحتة قد تكون بداية للتراجُع وإعادة التفكير وربما الإهتداء إلى فطرة الإيمان المَغروسة فى نفوسِهِم وإن كانت لم تنبت بعدُ فيها بسبب البيئة الإجتماعية والنفسية التى ينشؤون فيها.

إنَّ إنتشار ظاهرة الإلحاد فى أىِّ مجتمع مِحْنَة بالغة الخطورة على أمن وسلامة وإستقرار هذا المجتمع لأنَّ الشخصَ الملحد والمولِغْ فى إلحادِه يحيا فقط من أجْل نفسِه فى حياةٍ سوف تنتهى بمَوْتِه مثلما يعتقد. فهو لا يعرف ولا يعترف بأخلاقٍ أو ضميرٍ أو خوفٍ من إله أو تقوَى له. وهو يلتزم بالقانون فقط إذا كان سيفُه مُسَّلطاً على رقَبته ولكنه لنْ يقيم له وَزْناً إذا كان بمَنْأَى عن هذا القانون خلافَ الشخص المؤمن الذى يتقى الله فى كلِّ ما يفعل أو يقول فى السر والعَلَنْ على حدٍ سواء. ولذا فإنَّ الإلحادَ مرضٌ عقلى وإضطرابٌ فكرى وداءٌ عضال لا يقتصر سوءُ عاقبته على المُصاب به فقط ولكنه يتعداه إلى كلِّ من يتواجَد فى دائرة علاقاته الإجتماعية وإلى كلِّ معانى ومفاهيم الحياة فى وطن يحيا فيه معَ آخرين لن يتردد فى التضحية بأى من هذه المعانى والمفاهيم من أجل نفعِه وإستمْتاعِه فى حياته التى ستفنى إلى عَدَم بعد موته مثلما يؤمن ويعتقد وهو ما يُوجب العمل وبذْل الجهود بغير إنقطاع لعلاج الملحدين ومواجهة هذه الظاهرة المُدمرة للفرد والمجتمع والدولة على حدٍ سواء.